مدن العراق القديمة

Les vieilles Cités de l'Irâq.

فنسان م . ماريني — تابع —

ومن حسن حظ البعثة انها تمكنت من ان تطلع على مجمل تاريخ المدينة ، لمدة نحو ثلاثة آلاف سنة ، وذلك في موضع على بضعة امتار من اوجه الزقورة الغربية ، في المحل الذي ينزل الزائر منه من الزقورة . وقد جد الاثريون هنالك وازاحوا طبقات انقاض البناء الواحدة بعد الاخرى ، وهم يصورون كل واحدة في حينها ، ويرسمونها حتى اتوا على آخر التاريخ من ازمنة الفرس ، الى فجر التمدن والعمران ، حين شيد اول هيكل لالهة القمر . وكان هذا البناء من الآجر المسطح المقبب ، والمنظم نظاماً مائلاً يشبه عظام الطريخ (نوع من السمك) وفوق هذا البناء الذي يرجع الى عصر سلالات اور الاول : اكتشف المنقبون الجدار المائل الى الوراء الذي انشأه « اور نمو » مؤسس السلالة الثالثة ، ليسند السطح الكبير المعروف بـ « إي تمن ني إل » أي دار المصطبة التي اقامها . ذلك السطح الذي كانت الزقورة الهائلة قائمة عليه . ويرى الى هذا اليوم ذلك الجدار الذي شيده « اور نمو » وكان من لبن ، وحلاه بدعامات صغيرة . واثبت الآجر في الجدار من آن الى آخر ، اثباتاً مخروط الشكل ، وذكر فيه اسم الملك وبنى « اور نمو » في شمال غربي الزقورة في محل يبلغ عرض السطح تيفاً ومائة قدم دار تنر (هو سن ، ابن الهة الارض انانل في نفر . وأخو ترجل رب العالم الادنى) الهة القمر ورب الحكمة .

ولما سما مجد سلالة إسن ولرسا بعد غزوة العيلميين (٢٣٠١ ق . م) مدينة اور ، جدد احد ملوك لرسا وجه السطح ، واتخذ الآجر لبنائه ، كما انه اعاد دار « تنر » وشيدها على بعد قليل من موضعها الاول وفي غربيه . وهناك ملك آخر اسمه « ورد سن » من السلالة نفسها ، ولكنه احدث عهداً من الملك السابق الذكر ، شيد برجاً كبيراً ذا درج ينحدر الى طبقة الارض السفلى وراء السطح .

وضعفت شوكة اور مرة اخرى . وربما كان ذلك من جراء ثورتها على مملكة بابل الاولى ؛ وخرب « شمشوبلونة » نجل « حرب » قسماً من البلدة فظل هيكل اله القمر خرباً زمناً طويلا . ثم اعاده الملك الكشي « كوريجلزو » — ولعل سبباً سياسياً دفعه الى هذا العمل — فاقيم الجدار الساند « إي تمنني إله» مرة ثانية . ولكنه بني ايضاً على بعد من اساس البرج . وكذلك جدد الهيكل ، بيد انه لم يدم طويلا ، اذ معظم اساساته . أقيم على انقاض مبان . وكاد نبو كدو اصر الثاني ، لايرى شيئاً من معبد اله القمر وزقورته قائماً غير الدمار وما ورد عنها في الحديث المأثور ، مع انه يظهر ان « سنبلتسو إكبي» حاكم البلدة الاشوري ، رممهما في نصف القرن السابع ق . م .

وباشر العمل معمار الهياكل هذا ، على قياس عظيم جليل ، وكان ذلك من عادة حميته ، وشمل جدار المقدس الهائل منطقة اوسع مما كانت عليها في بادئ امرها ، وكان ذلك الجدار مزدوجاً ، وتتخلل الجدارين غرف ، وهناك ايضاً دهاليز في طرفي الجدار : الطرف الخارجي منه ، والطرف الداخلي منه . وفضلا عن ذلك ، نقل معبد الاله الى القسم الشمالي الشرقي من الزقورة ، وضم اليه الفناء الرحب الفسيح ، الذي يظن انه كان في السابق خاناً ، تتسلم فيه واردات الهيكل من البضاعة وغيرها ، وذلك لتشييد منها دار اخرى كبيرة له « نن » ، واسم تلك الدار « إي نن مخ » .

وظهر تاريخ المدينة مجملا ايضاً ، لما حفرت المباني الكبيرة الاخر الواقعة في المنطقة المقدسة المسماة « اي جش شرجل » اي المنطقة التي تشتمل على « جج فر اسج » هيكل « نن جل » زوجة اله القمر ، و « إي دبل مخ » ربة العدل . وكذلك اخذت صور هذه الابنية ورسمت طبقة بعد طبقة ، واكتسح القسم الاعلى منها قليلا قليلا حتى أتي على القسم الادنى .

واكتشف معبد « نن جل » الذي يرجع الى العصر البابلي الحديث ، ازاء وجه الزقورة الجنوبي الشرقي ، فازيح الهيكل كله . ولا جرم ان ذلك الهيكل شيده « سنبلتسو إكبي » حاكم اور الاشوري في القرن السابق لذلك العصر . ثم اعاد

« نبونيد » اقساماً منه . ولما حفر المنقبون هيكل « نن حل » عثروا في الثرى تحت طبقات البناء السفلى على بعض عاديات مفيدة جداً ، منها صحائف الاسس لـ « جودياه » الفاتشي في « لجش » نحو سنة ٢٦٠٠ ق. م . وصحائف « وردسن » ملك « لرسا » وصحائف « كوريجلزو » الكشي . وبنى « كوريجلزو » الهيكل الواقع دون « نن حل » فوق اساسات بناء اقدم منه . ربما كان من عصر « لرسا » . وكان الهيكل الذي اقامه « كوريجلزو » تحت مستوى سطح « إي تمن ني إل » ولهُ بابان يطلان على طريق مبلطة تمتد موازية للوجه الجنوبي من الزقورة ، وتؤدي الى فناء « إي دبل مخ » ردهة العدل .

وأزيح ايضاً هيكل « كوريجلزو » فظهر تحته « جج فر اسج » الدار الهائلة لمعبودة القمر التي بناها « برسن » ثالث ملك من ملوك تلك السلالة العظيمة . واعاد هذا المعبد ابن من ملوك « اسن » ، وكانت هذه الدار بناءاً مربعاً كبيراً يبلغ كل طرف من اطرافه ثمانين يرداً ، وهو محصن بابراج واسوار ثخنها خمس وعشرون قدماً . وفي الحقيقة كان هذا البناء الواسع يحتوي على هيكلين تحول دونهما طائفة من معابد اصغر منهما ، وكان احد المعابد مرصداً « لبرسن » نفسه . ومن هذين الهيكلين : هيكل « نن حل » الذي كان ابهى رونقاً . ومن ظريف ما عثر عليه من العاديات وراء محراب مطبخ الهياكل ، كل العدة اللازمة للطبخ ، من مواقد ، واوعية ، ومقال ، وحياض مقيرة ، وارحية ، والجميع موضوع في محله . وكانت هناك ايضاً حلقة من الشبه ، اثبتت في الرصيف بالقرب من البئر المبنية حولها بالآجر ، وكان يربط برشاء الدلو . ووقع على كثير من العاديات المفيدة للاطلاع في انحاء الهيكل غير ما سبق ذكره ، ولكن يتضح ان اهم هذه العروض النفيسة سلبت او انكسرت لما فتح اور جند « شمشو يلونة » البابليون .

ولكن كان لـ « نن حل » معبد قبل ما يشيد « برسن » هيكله لهذه المعبودة بمدة طويلة ، لانه عثر بين انقاض تلك الدار على هدية نذر ، قدمتها ابنة « سرجون » ملك « اكد » . وهناك ايضاً صفيحة من حجر الكلس ، هي اقدم من عصر « سرجون » ، تصف كيف كان يصب الماء امام الملك وكيف في

باب هيكل .

واهم المباني التي حفرت في « اور » المبنى الواقع في شرقي هيكل « ننجل » وتحت الزاوية الشرقية من المسطبة المسماة « إي تمن تي إل » وتاريخ « إي دبال مخ » الذي كان ردهة العدل وهيكل الاله القمر في آن واحد . اقتفي اثره في جميع الازمنة التي ذكر فيها اسم الجدار السائد لـ « إي تمن تي إل » واسم هيكل معبودة القمر . ويظهر هذا البناء في يومنا هذا ، كأنه كان دار عبادة . اقامها احد ملوك « لرسا » على اسس مباني الملك « برسن » فاعادها « كوريجلزو » وفحصت الارض تحت ابنية « برسن » فدلت نتيجة الحفر . على انه كان هناك آجر سابقاً لزمان ذلك الملك . و « إي دبال مخ » مركب من ردهتين : الردهة الداخلية منهما أعلى من الخارجية . وهي في الحقيقة قائمة فوق مسطبة « إي تمن تي إل » ولا ريب في ان هذا المعبد كان في اول امره ممراً يؤدي من البناء الاسفل الى هيكل الاله القمر الذي فوقه . على ان المعبد المذكور مغلق من ورائه الآن . وكانت تقدم هناك الذبائح الى الاله . ويفرز الحق عن الباطل . وكان ذلك من عادات السلف في القدم . ولكن لما فتح باب جديد لفناء « إي دبال مخ » حجب الباب الاول . لانه اقيم في وجهه جداران يتقاطعان . فاصبح معبداً مألوفاً فيه حجرتان حجرة خارجية . واخرى داخلية يؤدي اليهما درج . ومن ظريف ما اعاده « كوريجلزو » الطيقان التي في جوانب الردهة الخارجية . ولا يزال احدها قائماً على حاله ، وهو اقدم طاق آجر شيد في وجه بناء على ما يعرف .

وكان يقع امام الهيكل فناء فسيح ، تحيط به مساكن الكهنة وابنية اخر لشؤون الادارة ؛ ولهذا الفناء بابان فيهما غرف للحراس . وكان يؤدي احدهما الى ما كان يسمى « طريق الاحتفال » في الشمال الشرقي ، والآخر الى الطريق التي تمر بهيكل « ننجل » في الجنوب الغربي .

ووقع في هذا الفناء على شقف نصب من حجر الكلس ، وعرض النصب خمس اقدام ؛ في طول خمس عشرة قدماً ؛ وهو من احسن مصنوعات السمريين المعروفة . ويرى فيه الملك « اورنمو » متسلماً اوامر الاله ابناء برج الهيكل ؛ ويظهر الملك في رسم آخر ، ماثلا مثولا صادقاً حاملا ادوات لبناء برج الهيكل

وهناك صور اخر تري بسالته في الحرب ، وما قام به من حفر القني . ولكن الف الرسوم الملائكة المجنحة المحلقة فوق رأس الملك . ولا ريب في ان ذلك النصب كسر في غابر الايام ، وربما كسره احد الفاتحين العيلميين الذين ابادوا هذه السلالة الجليلة التي اسسها « اور نمو » .

وحفظ هذا المعبد في أيام « نبونيد » واعيد على نحو خطته القديمة . ولكن وضعت رسوم غرف « إي جج فر » وفنائه على خلاف ما كانت عليها . وكان « إي جج فر » دير « بل شلتي نن » ابنة « نبونيد » والكاهنة العليا في « نن » وازيحت تلك الابنية لما تم تدوين تاريخها لكي يظهر « إي دبل مخ » هيكل « كوريجلزو » الواقع تحتها . واهم ما يعرف عن الصومعة التي ارصدها « نبونيد » لسكنى ابنته على ما اتضح في البناء للوسائل التي اتخذتها لتسلي نفسها بها ، وتنسي وقتها حين سآمة نفسها . وكان والدها نصحها خير نصيحة . ورشدها في حياتها الجديدة في مستقبلها . ويظهر ان ابنة « نبونيد » جدت في التثقيف والتهذيب ، لانه عثر هنالك على صفائح صلصال ، فيها خط التلامذة ، وصفائح اخر بمربعات كانت لتعلم الحساب ، أو للعبة تشبه لعبة الدمة . وفضلا عن ذلك وقع في احدى الغرف على عدة اشياء ، يختلف تاريخ الواحد منها عن الآخر كل الاختلاف ، فلا يقبل اذلك تعليل سوى ان الكاهنة العليا ورثت عن والدها حب الآثار القديمة ، فاتخذت لها متحفة صغيرة . وكانت مجموعة « بل شلتي نن » تحتوي على مخاريط مكتوب عليها بالخط المسماري ، واشكال صغيرة ، ورؤوس صوالجة منذورة ، وحجر التخم ومواد شتى ، فضلا عما استنسخ من العاديات التي اكتشفت في « اور » في القرن السابق لذلك العصر وكان مخطوطاً عليها بالخط المسماري . وورد في تلك النسخ انها صنعت « ليتعجب منها العالم » .

وهناك ايضاً بناء آخر تستحسن معرفته ، هو قصر « دنجي » المسمى « إي هر سج » أي « دار الجبل » يقع في مسطبة كبيرة من صنع اليد في الزاوية الجنوبية من المنطقة المقدسة . واصل هذه الدار اقدم من زمن « دنجي » وعثر فيها في اثناء التنقيب على عروض كثيرة مفيدة جداً من زمن عريق .

(تل العبيد)

هو على مسافة اربعة اميال من « اور » بالسيارة ، وفي الغرب الشمالي الغربي منها .

اكتشف الدكتور « هل » من المتحفة البريطانية هذا التل سنة ١٩١٩ وفيه فائدة جزيلة وان كان صغيراً ، وحفر « هل » بعضاً منه ، فاستخرج عدداً كثيراً من مصنوعات نحاسية ، واسود ، ورؤوس ، وما يشبه ذلك . وكانت هذه العاديات جزءاً من بناء بارز الشكل أقيم للزخرفة .

واتم المستر « س . ل . وولي » تنقيب هذا الهيكل المهم في موسم سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ نيابة عن المتحفة البريطانية ومتحفة جامعة « بنسلفانية » المشتركتين في هذا البحث . واظهر الاثري الآنف الذكر ، ان هذا المعبد اعيد في ثلاثة ازمنة مختلفة ، ومن حسن الحظ انه عثر هناك على صفيحة رخام مخطوط عليها بالخط المسماري ما يلي : « ننخرسج ، بنى أ أنيبده » ملك اور وابن « مس أنيبده » ملك اور هيكلا لـ « ننخرسج » .

ويدل كلا التاريخين على ان البناء الاصلي يرجع الى سلالة اور الاولى ، كما انهما يذكران المعبودة التي كان الهيكل مرصداً لها . وكان هناك ايضاً جعل من ذهب فيه اسم « أ أنيبده » فيحتمل انه كان جزءاً من مستودع الاساس . ولا يعرف شيء عن المعمار الثاني لهذا الموطن : سوى انه اتخذ للبناء آجراً كبيراً مربعاً مطبوعة عليه اصابع الصانع . ولكن لم ير في اي آجرة منه الخط المسماري . والملك الثالث : وهو الاخير الذي اقام البناء في ذلك المكان : هو « دنجي » ثاني ملوك « اور » ومن سلالتها الثالثة .

واعجب مزية هيكل « تل العبيد » زخرفة المعبد الاقدم ، اذ هو آية في صنع الحفر والاتقان ، ويظهر فيه الحيوان منحوتاً في حجر الكلس والمعار . وتبرز الحيوانات منه بروزاً ، وعيونها مرصعة بالنحاس الاحمر . وترى الازهار موضوعة في اصص . وشرفاتها من حجر الكلس ، ويتخللها حجر الرمل الاحمر والمعجون الاسود ، فضلا عن الاعمدة المزينة بالمكعبات المصنوعة من حجر الرمل والصدف والمعجون . فاصبح الكل بديعة في الزينة ، تألق بها معبد الالهة ايما تألق . ومن ظريف ما رسم في إفريز حجر الكلس ، الحيوانات التي فيها صورة حلب اللبن ،

لان هذه الصورة تمثل الحياة البيتية في تلك الايام . ويرى معظم تلك العاديات المستخرجة من « تل العبيد » في متحفة بغداد (راجع ما يخص « كيش » وما فيها من الآثار الشبيهة بها) .

وظهرت في المقابر المجاورة للهيكل حيث مدفونة منذ قديم الايام ، حين كان الناس يستعملون الخزف الملون المصنوع باليد ، وسكاكين الصوان ، والمناجل الخزفية حتى العصر الكيشي ، وفي الحقيقة يحتمل ان الربة « نن خرسج » كانت لها علاقة ما بالاعتقاد ان الانسان يولد مرة ثانية في حياة اخرى .

اريدو (ابو شهرين)

تبعد عن اور بنحو اربعة عشر ميلا بالسيارة ، وهي في الجنوب الغربي منها . ولكن الطريق وعرة ، ولا ماء في هذا الموقع

ان هذه المدينة اقدس مدن شمر القديمة بعد « نفر » ، فقد ورد في حديث الشمريين المأثور ، ان « اريدو » اقيمت قبل الطوفان ، والخزف الملون ، وسكاكين الصوان ، والجرار ذوات البلبل ، ومناجل الخزف التي اكتشفت في الطبقة السفلى من البلدة تدل دلالة لا ريب فيها على قديم اصل « اريدو » .

وعمت عبادة « ايا » (انكي) في انحاء القطر كافة ، و « ايا » اسم معبود « اريدو » رب الماء الاعظم . ويتضح ان « ننجرسو » الهة الري في « لجش » وزوجته « نتة » ملكة المياه ، وهي ايضاً ابنة « انكي » كان في عبادتهما بعض رموز لها علاقة بعبادة « انكي » حتى انه كانت كأس كبيرة مزينة بالذهب في « إي سجلا » معبد « مردوك » بن « انكي » والهة البابليين (راجع ما يختص بـ « لجش » و « بابل ») . وفي الحقيقة يظهر ان لعبادة « انكي » دخلا في عبادة كل مدينة في تلك الديار ، مع ان البلدة التي تأسست فيها هذه العبادة هجرت بعد حكم حرب على ما يبين . واعاد هيكل الرب « ايا » المسمى « إي ابزو » اي « دار البحر الادنى » كلا الملكين : « اور نمو » من سلالة اور الثالثة ، و « نور ادد » ملك « لرسا » . ولكن ملوك كيش واشورية ، وملوك بابل الحديثة ، الذين اهتموا كل الاهتمام بترميم هياكل اور . اهملوا بالمرة هذا المعبد الاصلي ، مع انهم لم يبرحوا عبادة ربه . وعليه لا يشك في ان « اريدو »

اصبحت غير قابلة للسكنى بعد انغير « رم سن » ملك« لرسا » مجرى الفرات من غربي« اور » الى شرقيها ؛ ويقتضي انه كادت « اريدو » تترك فلاة .

ومن الواضح ان « اريدو » كانت متصلة بالبحر حيناً ما ، إلّا انعلم الهلك يدلنا على انها لم تكن على ساحل البحر . بل ربما كانت قائمة في مستنقع كان ينفذ الى البحر .

وكانت لـ « اريدو » رواية خيالية على حد ما كان يروى لسائر اخواتها من مدن شمر القديمة . وورد فيرواية لها عن خطيئة الرجل الاول اسم « ادفة » السماك الحكيم ، وكان بطل تلك الحكاية ، وقيل ان « ادفة » أستدعي امام « انو » رب السماء ، لكسر « جناحي الريح الجنوبية التي مزقت قلع زورقه ، ولكن « تموز » و « جشزدة » تضرعا الى رب السماء ، ودافعا عن السماك ببلاغة فصيحة ، فسكنا غضب هذا الرب . وقيل انه عرض على « ادفة » خبزاً وماءاً تكون في تناولهما حياة خالدة . بيد انه من سوء طالع السماك ، كان هناك الاله « إيا » . وكان قد من عليه بالحكمة ، فسمع بذلك وحسد « انو » وانفر « ادفة » بات يرفض الطعام والشراب ، ولذا بقي السماك انساناً عرضة للموت .

وحفر « لفتس » في (١٨٥٢) في « اريدو » وكذلك حفر فيها « تيلر » (١٨٥٥) و « كمبل ثومسن » سنة ١٩١٨ والدكتور « هل » من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٠ ، ولكنهم لم ينقبوا فيها تنقيباً طويلا ؛ كما انه لم تكشف بعد خزانة هيكل « إي ابزو » .